



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

دراسات | 26 كانون الأول/ ديسمبر، 2019

الجامعات العربية في ضوء تصنيف شانغهاي 2019

مراد ديانبي

مراد ديانبي

باحث مشارك في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، رئيس تحرير دورية «استشراف للدراسات المستقبلية». حاصل على الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة ستراسبورغ في عام 2003. عمل أستاذًا في الاقتصاد في جامعة ستراسبورغ، وأستاذًا مشاركًا في الاقتصاد في جامعة القاضي عياض بمراكش. تتركز اهتماماته البحثية حول الاقتصاد السياسي، واقتصاد المعرفة، والفلسفة السياسية.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2019

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتمامًا لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعاين، قطر

هاتف: + 974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	ملخص
1	مقدمة
2	أولاً: تصنيف شانغهاي للجامعات العالمية ونظراؤه
5	ثانياً: تصنيف شانغهاي: قراءة نقدية
9	ثالثاً: الجامعات العربية في ضوء تصنيف شانغهاي للجامعات العالمية عام 2019
23	خاتمة
24	المراجع

ملخص

نُشر "التصنيف الأكاديمي الدولي للجامعات" الأول في عام 2003 على موقع جامعة جياو تونغ في شانغهاي. وحقق هذا التصنيف نجاحاً كبيراً على المستويين الأكاديمي والإعلامي ما فتئ يتأكد ويتعزز منذ ذلك الحين، سواء بالنظر إلى التنظيم الداخلي للجامعات، أو بالنظر إلى سمعتها الدولية واستقطابها للطلاب، أو من قبل واضعي السياسات العمومية للترويج لمشاريع الإصلاح، أو بين البلدان المتنافسة في سياقات التقسيم الدولي للمعرفة. وبعد مضيّ خمسة عشر عاماً، شهد تصنيف شانغهاي لعام 2019 تحولاً مهماً من جهة أنه أصبح يشمل أفضل ألف جامعة في العالم، عوضاً عن أفضل خمسمئة جامعة في الدورات الخمس عشرة الماضية. وي طرح هذا الأمر، على الرغم من ولوج عددٍ من الجامعات العربية مجال التصنيف، أسئلةً مركّبة بالنسبة إلى المنظومة الجامعية العربية في سياقات العولمة المتزايدة والتقسيم الدولي الجديد للمعرفة، تستعرض هذه الدراسة بعض جوانبها درساً وتحليلاً.

مقدمة

في اقتصاداتٍ ومجتمعاتٍ معولمة على نحوٍ متزايد وقائمة أكثر فأكثر على الأصول غير الملموسة، ولا سيما المعرفة والابتكار والبحث والتطوير، أصبح يُنظر إلى مسألة المكانة التي تحتلها الجامعات في السياق الدولي للبحث والتطوير بوصفها ضماناً للجودة و"الامتياز". وتأتي في هذا الصدد التصنيفات الدولية للجامعات لتلبي احتياجات متعددة تتعلق بالتنظيم الداخلي للجامعات، وسمعتها وقدرتها على استقطاب الطلاب، وبأسس وضع السياسات العمومية في مجال التعليم العالي والبحث والتطوير، وأيضاً لتلبي طلباً متزايداً من لدن الدول المتنافسة في سياق التقسيم الدولي للمعرفة⁽¹⁾.

لقد أصبح مجال التعليم العالي تدريجياً سوقاً عالمية، وأصبح يُنظر إلى الجامعات على أنها "شركات" تتنافس على نطاق عالمي⁽²⁾. وفي هذه المنافسة، وفي نظر واضعي السياسات (الذين يغلب عليهم التوجه النيوليبرالي)، تؤدي هذه التصنيفات الدولية دوراً حاسماً في توحيد معايير تقييم "الامتياز" على نطاق عالمي، فضلاً عن أنها أصبحت هوساً لدى وسائل الإعلام⁽³⁾، وأصبح المسؤولون عن كبرى الجامعات الدولية ينفقون قدرًا كبيراً من الموارد ومن الجهود لإدراج (أو الحفاظ) على مؤسساتهم ضمن فئة أفضل مئة جامعة في التصنيف العالمي World Class University، أو حتى ضمن فئة أفضل خمسمئة جامعة. وأبرزت هذه التقييمات تأثيرات عميقة في مؤسسات التعليم العالي؛ فهي تعدل كيفية توزيع التمويل (لصالح الأقسام التي من المحتمل أن تنتج تصنيفات أفضل)، وتعدل استراتيجيات التوظيف (استهداف الفائزين بجوائز، أو المدرجين ضمن قوائم الباحثين الأكثر استشهاداً)، وتحفز الاندماج في الجامعات ... إلخ⁽⁴⁾. ويتم دعم هذه الاستراتيجيات أيضاً (أو تطبيقها) على المستويات الوطنية، من قبل الحكومات التي تعتبر أن سمعة بلدها مبنية - على الأقل جزئياً - على جودة التعليم العالي والبحث والتطوير⁽⁵⁾.

1 للمزيد بشأن التقسيم الدولي للمعرفة، الذي أضحت يحلّ محلّ التقسيم الدولي للعمل، يُنظر: مراد ديانبي، "تقديم" كتاب *الجامعات والبحث العلمي في العالم العربي* (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 17-31.

2 Simon Marginson, "Global University Rankings: Implications in general and for Australia," *Journal of Higher Education Policy and Management*, vol. 29, no. 2 (2007), pp. 131 - 142.

3 Robert A. Rhoads, Shuai Li & Lauren Ilano, "The Global Quest to Build World-Class Universities: Toward a Social Justice Agenda," *New Directions for Higher Education*, no. 168 (Winter 2014), pp. 27 - 39.

4 Wendy Nelson Espeland & Michael Sauder, *Engines of anxiety: Academic Rankings, Reputation, and Accountability* (New York: Russell Sage Foundation, 2016).

5 Philippe Aghion et al., "The Governance and Performance of Universities: Evidence from Europe and the US," *Economic Policy*, vol. 25, no. 61 (January 2010), pp. 7-59.

ويأتي الإعلان عن التصنيف الأكاديمي للجامعات العالمية (أو تصنيف شانغهاي) لعام 2019، الذي شهد دخول عدد من الجامعات وعدد من الدول مجال التصنيف، أول مرة، من بينها عدة جامعات ودول عربية، ليعيد طرح المكانة الدولية للجامعات العربية، وجودة مخرجات التعليم العالي والبحث العلمي التي تقدمها، ومدى اتساقها مع منظور التحول نحو اقتصادات قائمة على المعرفة والأصول اللامرئية، وهو ما ستحاول هذه الدراسة النظر فيه.

أولاً: تصنيف شانغهاي للجامعات العالمية ونظراؤه

تملك الصين قدم السبق في وضع أول وأهم تصنيف دولي للجامعات الدولية في فجر الألفية الثالثة، في إطار سعيها للعودة إلى الساحة الدولية اقتصادياً وسياسياً. فبعد أن عزز انضمامها إلى منظمة التجارة العالمية في عام 2001 تكاملها الاقتصادي الدولي، اعترفت قادتها، على المستوى الجيوسياسي، اتباع استراتيجية مؤثرة، بالاعتماد، من بين أمور أخرى، على النظام التعليمي ومنظومة البحث والتطوير. وقد كان الرئيس جيانغ زيمين قد حدّد، منذ عام 1998، هدف الصين في امتلاك العديد من الجامعات العالمية⁽⁶⁾. ومن هذه النوايا، تأتي "مشروع 985" الذي يهدف إلى دعم 39 جامعة في البلاد ذات أفضل الفرص لتأكيد نفسها على المستوى العالمي. وفي عام 2002، دعم "مشروع 211" جهود أكبر مئة جامعة في الصين في القرن الحادي والعشرين⁽⁷⁾. وبتأكيد هذا الطموح، ظلّ تحديد المؤشرات لتقييم الامتثال لهذه الأهداف المحددة. وفي هذا الصدد، جاءت النسخة الأولى من تصنيف شانغهاي عام 2003 تحت إشراف نيان تساي لو من جامعة جياو تونغ. وقد كان الهدف الذي جرى الإعلان عنه هو مقارنة الجامعات الصينية بأفضل المؤسسات الجامعية العالمية⁽⁸⁾.

ينبغي، إذًا، وضع هذا التصنيف ضمن إطاره الصحيح، وهو تحولات التقسيم الدولي للعمل الذي هو بصدد أن يصبح تقسيمًا دوليًا للمعرفة، وحيث أصبحت تؤدي بعض الدول الناشئة (الصين والهند خصوصًا) دورًا متزايدًا في الألفية الثالثة. بيد أنه إن كان ظهور تصنيف شانغهاي قد جاء ليلبّي الأساس أهدافًا سياسية وجيوسياسية، فإن تأثيره سرعان ما سيتجاوز الحدود المحلية والإقليمية ليصبح من بين أهم مؤشرات الرؤية الأكاديمية لأكثر المؤسسات الجامعية الدولية، وتنظيم التعليم العالي والبحث العلمي في جميع أنحاء العالم، وبشكل أعم ليؤثر في كيفية إنشاء المعرفة وتوزيعها⁽⁹⁾.

نُشر تصنيف شانغهاي أول مرة في حزيران/ يونيو 2003 من قبل مركز الجامعات العالمية CWCU بجامعة جياو تونغ بشانغهاي، وتم تحديثه على أساس سنوي. ومنذ عام 2009، أصبح يُنشر كل سنةٍ بفضل مؤسسة Shanghai Ranking Consultancy، وهي مؤسسة مستقلة وغير خاضعة قانونيًا لأي جامعة أو هيئة حكومية⁽¹⁰⁾، يؤكّد القائمون عليها أنهم لا يتلقون أي تمويل معين لتحقيق التصنيف، وأنهم يسترشدون بالاعتبارات الأكاديمية فحسب⁽¹¹⁾.

6 Li Lixu, "China's Higher Education Reform 1998-2003: A Summary," *Asia Pacific Education Review*, vol. 5, no. 1 (2004), pp. 14 - 22.

7 Ibid., pp. 17 - 18.

8 The Academic Ranking of World Universities (ARWU), "About Academic Ranking of World Universities," accessed on 20/8/2019, at: <https://bit.ly/2vIOfmH>

9 Cf. Philippe Aghion et al., "Why Reform Europe's Universities?" *Bruegel Policy Briefs*, no. 4 (September 2007); Ellen Hazelkorn, "The Impact of Global Rankings on Higher Education Research and the Production of Knowledge," UNESCO Forum on Higher Education, Research and Knowledge Occasional Paper no. 16 (2009); Ellen Hazelkorn, *Rankings and the Reshaping of Higher Education: The Battle for World-Class Excellence*, 2nd ed. (London: Palgrave Macmillan, 2015).

10 "About Academic Ranking of World Universities".

11 Nian Cai Liu & Ying Cheng, "The Academic Ranking of World Universities," *Higher Education in Europe*, vol. 30, no. 2 (2005), pp. 127 - 136.

ويستخدم مؤشر شانغهاي ستة مؤشرات لتصنيف جامعات العالم، تشمل عدد الخريجين والحاصلين على جوائز نوبل وميدالية فيلدز⁽¹²⁾، وعدد الباحثين ذوي الاستشهادات العالية الذين تم اختيارهم من قبل شركة عدد، Nature و Science، وعدد المقالات المنشورة في مجلتي Clarivate Analytics، كلاريفيت أناليتيكس⁽¹³⁾ Science Citation Index Expanded، المقالات المفهرسة في "مؤشر الاستشهاد الموسع في العلوم والأداء الفردي للجامعة. Social Sciences Citation Index، و"مؤشر الاستشهاد في العلوم الاجتماعية. ويوضح الجدول (1) المقاييس التي يعتمد عليها مؤشر شانغهاي ووزنها النسبي

الجدول (1)

مقاييس مؤشر شانغهاي

المؤشر	المعيار	الجامعة الأميركية في بيروت	700-601
10	Alumni	الخريجون الحاصلون على جائزة نوبل أو ميدالية فيلدز	جودة التعليم
20	Award	الحائزون من بين هيئة التدريس على جائزة نوبل أو ميدالية فيلدز	جودة هيئة التدريس
20	HiCi	الأساتذة الباحثون من بين هيئة التدريس ضمن قائمة "الباحثون ذوو الاستشهادات العالية" (14)	
20	N&S	المقالات المنشورة في مجلتي Science و Nature	الإنتاج العلمي
20	PUB	مجموع المقالات المنشورة في: Science Citation Index Expanded & Social Sciences Citation Index	
10	PCP	إجمالي المعايير الخمسة السابقة نسبةً إلى عدد الأساتذة بدوام كامل	الإنتاجية العلمية
100			المجموع

Felipe Martínez Rizo, "University Rankings: a Critical View," *Revista de la Educación Superior*, vol. XL (1), no. 157 (2011), p. 82.

12 تعادل ميدالية فيلدز Fields Medal جائزة نوبل في حفل الرياضيات، وهي تمنح مرة كل أربعة أعوام لأربعة من علماء الرياضيات الشباب الذين لم يتجاوزوا من العمر أربعين عامًا.

13 كلاريفيت أناليتيكس Clarivate Analytics هي شركة تدير مجموعة واسعة من الخدمات القائمة على الاشتراك في البحث العلمي والأكاديمي، وتحليل براءات الاختراع، والمعايير التنظيمية، وحماية العلامات التجارية، والاستخبارات الدوائية والتكنولوجيا الحيوية، وإدارة الملكية الفكرية. وحتى عام 2016، كانت كلاريفيت أناليتيكس تمثل قسم الملكية الفكرية والعلوم في شركة طومسون رويترز Thomson Reuters، قبل أن يجري بيعها في العام نفسه لمجموعة Onex-Baring بقيمة 3.55 مليارات دولار أميركي، وهي المجموعة التي تملك، من بين ما تملكه، ويب أوف ساينس Web of Science. وبذلك، أصبحت كلاريفيت أناليتيكس تدير قواعد بيانات المجلات العلمية المحكمة، وإصدار معامل تأثير Impact Factor واعتماد المجلات، وغيرها من الخدمات.

14 قائمة "الباحثون ذوو الاستشهادات العالية" Highly Cited Researchers هي قائمة سنوية تعدها شركة كلاريفيت أناليتيكس للتعرف إلى الباحثين المؤثرين في العلوم والعلوم الاجتماعية من جميع أنحاء العالم. وتحتوي قائمة 2018 على نحو 4000 من الباحثين ذوي الدرجات العالية في 21 مجالاً من العلوم والعلوم الاجتماعية، ونحو ألفي باحث من ذوي الدرجات العالية الذين تم تحديدهم بوصفهم يتمتعون بأداء استثنائي عبر مجالات متعددة، ينظر: "Highly Cited Researchers: Purpose and Methodology," Web of Science Group/ Clarivate Analytics, accessed on 20/8/2019, at: <https://bit.ly/2P7y6VE>

من عام 2003 إلى عام 2018، كان مؤشر شانغهاي يصنّف أفضل خمسمئة جامعة في العالم. ومنذ دورة هذه السنة (2019)، أصبح التصنيف يشمل ألف مؤسسة جامعية، يجري تصنيف أفضل مئة مؤسسة منها مرتبةً كلاً على حدة⁽¹⁵⁾، ثم يتم تصنيف المئة الثانية وفق فئة خمسين (حتى المرتبة 201)، ثم وفق فئة مئة⁽¹⁶⁾.

ما فتئ تصنيف شانغهاي، منذ إنشائه في عام 2003 وحتى اليوم، يعدّ التصنيف الدولي المقارن الرئيس للجامعات، بيد أنه ليس الوحيد؛ إذ توجد العديد من التصنيفات الدولية الأخرى للجامعات، من أشهرها تصنيف الجامعات العالمية World University Rankings The لمجلة **تايمز للتعليم العالي** *Times Higher Education*⁽¹⁷⁾، وتصنيف الجامعات العالمي كيو إس QS World University Rankings لشركة كواكواريلي سيموندس Quacquarelli Symonds⁽¹⁸⁾، وتصنيف ويبوميتر كس العالمي للجامعات Webometrics Ranking of World Universities⁽¹⁹⁾.

بالنسبة إلى تصنيفي التايمز وكيو إس، فإنهما كانا موحدّين حين صدرا أول مرة في عام 2004 قبل أن ينفصلا. فما بين عامي 2004 و2009، نشرت المجلة البريطانية **تايمز للتعليم العالي** بالتعاون مع شركة كواكواريلي سيموندس تصنيف الجامعات العالمية - تصنيف الجامعات العالمي كيو إس Times Higher Education-QS World University Rankings. وقد صنّفت مجلة **تايمز للتعليم العالي** أفضل مئتي جامعة، في حين نشرت شركة كواكواريلي سيموندس على الإنترنت تصنيف نحو أفضل خمسمئة جامعة. وفي تشرين الأول/أكتوبر 2009، انفصلت مجلة **تايمز للتعليم العالي** عن شركة كواكواريلي سيموندس وانضمت إلى مؤسسة طومسون رويترز Thomson Reuters لتقديم تصنيف جديد للجامعات العالمية، يسمى تصنيف الجامعات العالمية لمجلة تايمز للتعليم العالي Times Higher Education World University Rankings. وقد صنّفت آخر دورة من المؤشر لعام 2019 أزيد من 1250 جامعة، نجد من بينها اثنتين وخمسين جامعة عربية تتوزّع على النحو التالي: تسع عشرة جامعة من مصر، وستّ جامعات من كل من المملكة العربية السعودية والجزائر، وأربع جامعات من كل من المغرب والأردن والإمارات العربية المتحدة، وثلاث جامعات من تونس، وجامعتان من لبنان، وجامعة واحدة من كل من قطر والعراق والكويت وعمان⁽²⁰⁾. وإضافةً إلى التصنيف العالمي، يضم المؤشر الحالي تصنيفات فرعية بحسب الموضوع والسمعة، وكذلك تصنيفات إقليمية.

من جهتها، بدأت شركة كواكواريلي سيموندس في نشر تصنيفها الجامعي الخاص بها منذ عام 2009، وقد أصبح يسمى تصنيف الجامعات العالمي كيو إس، على أساس الاستمرار في استخدام المنهجية الموجودة من قبل. وتوسع مؤشر كيو إس ليشتمل على التصنيف العالمي العام فضلاً عن تصنيفات فرعية (أفضل الجامعات في العالم لدراسة ثمانية وأربعين موضوعاً مختلفاً)، إلى جانب تصنيف عالمي لأفضل المدن الطلابية QS Best Student Cities⁽²¹⁾، وخمسة جداول إقليمية مستقلة⁽²²⁾، أحدثها تصنيف خاص بالدول العربية؛ إذ يصنّف أفضل مئة وعشرين جامعة عربية⁽²³⁾.

15 من أجل تفصيل المتغيرات المستخدمة بالنسبة إلى أفضل مئة جامعة في تصنيف شانغهاي لعام 2017 (الترتيب، النتيجة، عدد الطلاب، الميزانية السنوية، الرسوم الدراسية، دخل الأباء)، يُنظر الملحق.

16 "About Academic Ranking of World Universities."

بمعنى أنّ الجامعات المصنّفة وفق فئة خمسين جامعة (من 101 إلى 200) أو وفق فئة مئة جامعة (من 201 إلى 1000) تحتل المرتبة نفسها، ويجري تصنيفها فقط بحسب الترتيب الأبجدي.

17 يُنظر: <https://bit.ly/2qlxomr>

18 يُنظر: <https://www.qs.com/rankings>

19 يُنظر: <http://www.webometrics.info/en>

20 يُنظر: <https://bit.ly/2Pxz0HW>

21 يُنظر: <https://bit.ly/2TrOAYS>

22 هذه التصنيفات مستقلة عن التصنيف العام، وتتوصل إلى استنتاجات مختلفة عن التصنيفات العالمية، بسبب الاختلافات في المنهجية والمعايير المستخدمة.

23 يُنظر: <https://bit.ly/30tQo4H>

كما تجدر الإشارة إلى تصنيف ويبوميتركس العالمي للجامعات الذي يصدره منذ عام 2004 مختبر Cybermetrics Lab التابع للمؤسسة العمومية الرئيسية للبحث العلمي في إسبانيا، المجلس الوطني للبحوث CSIC. وهو يعتمد على مؤشر مركب يأخذ في الاعتبار حجم محتويات الجامعة على شبكة الإنترنت (عدد صفحات الويب والملفات)، ومدى رؤية هذه المنشورات وتأثيرها في شبكة الإنترنت وفقاً لعدد الروابط الخارجية (استشادات المواقع). ويهدف التصنيف إلى تحسين وجود المؤسسات الأكاديمية والبحثية على شبكة الإنترنت، وتعزيز النشر المفتوح لنتائج البحث العلمي. وهو يوفر اليوم تصنيفاً على شبكة الإنترنت لأكثر من اثنتي عشرة جامعة في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك أكثر من ألف جامعة عربية.

بيد أن هذه المؤشرات وسواها لم تستطع أن تبلغ المكانة والتأثير اللذين يتميز بهما تصنيف شانغهاي. فأغلبها قد نجم عن "صدمة" دول المركز من أن مؤشراً يمثل هذه الأهمية الاستراتيجية يتأني من دولة من خارج منظومة المركزية الإثنائية الغربية. وتظل هذه المؤشرات موضع نقدٍ حادٍ بسبب اعتمادها المفرط على المؤشرات الشخصية واستطلاعات الرأي بشأن السمعة، والتي تشمل درجة من الذاتية والمزاجية وتميل إلى التقلب على مرّ السنين، فضلاً عن أنها تكافئ جهود التسويق عوضاً عن جهود الباحثين في هذه المؤسسات⁽²⁴⁾. كما يوجد توجّس أيضاً بشأن الاتساق والتكامل العالميين للبيانات المستخدمة لإنشاء نتائج هذه التصنيفات. وبالنسبة إلى مؤشر كيو إس، يظلّ مؤشر جاذبية الجامعات وإقبال الطلاب على الجامعة أيضاً عرضة للتدليس؛ إذ تفتح العديد من الجامعات قبول طلبات الانتساب حتى لو لم تقبل هذه الطلبات أثناء التسجيل النهائي. وأخيراً، يظلّ الجانب التجاري حاضرًا فيها بقوة.

ثانياً: تصنيف شانغهاي: قراءة نقدية

على نحو عام، يظلّ مؤشر شانغهاي، من بين جميع المؤشرات "الغربية" الأخرى، المؤشر الذي يحظى بالموثوقية الأكبر وبالتأثير الأكبر، أيضاً، في المؤسسات الجامعية والبحثية الدولية وفي السياسات العامة في مجال التعليم العالي والبحث العلمي، على الرغم من أنه بدوره لا يسلم من أوجه القصور والنقد التي أشارت إليها العديد من الدراسات والأبحاث التي أبرزت بعض حدوده المنهجية⁽²⁵⁾، أو تلك التي أشارت إلى عدم أخذه في الاعتبار جودة التعليم⁽²⁶⁾. كما أنه، على غرار مختلف التصنيفات العالمية الأخرى، يعتمد على معلومات قابلة للمقارنة دولياً، بيد أنها تنطوي على اختلافات كبرى وفقاً للسياقات، وتتباين في دقة البيانات والموثوقية، وتعريفات البيانات، غير أن مؤسسات التصنيف لا تقوم بمراجعتها. ففي دراسة حول تصنيف كليات الحقوق الأميركية، وجد ويندي إسبلاند ومايكل سودر أن هذه المؤسسات تعدّل سلوكياتها حتى تتكيف مع المعايير المستخدمة في هذه التصنيفات⁽²⁷⁾. ومن ثم، فهي لا تعمل كقياسات حقيقية، ولكنها تؤكد ببساطة التوقعات بما يمكن اعتباره "نبوءات ذاتية التحقق" *Self-fulfilling prophecies*، كما صاغها روبرت ميرتون⁽²⁸⁾.

24 Simon Marginsoni & Marijk van der Wendei, "Globalisation and Higher Education," OECD Education Working Papers, no. 8, OECD Publishing (2007).

25 Cf. Liu & Cheng; Jean-Charles Billaut, Denis Bouyssou & Philippe Vincke, "Should you believe in the Shanghai ranking?" *Scientometrics*, vol. 84, no. 1 (2010), pp. 237 - 263.

26 Liu & Cheng; Billaut, Bouyssou & Vincke.

27 Wendy Nelson Espeland & Michael Sauder, "Rankings and Reactivity: How Public Measures Recreate Social Worlds," *American Journal of Sociology*, vol. 113, no. 1 (July 2007), pp. 1 - 40.

28 Robert K. Merton, *Social Theory and Social Structure* (New York: The Free Press, 1968).

ومن بين أهم الانتقادات الأخرى التي وُجّهت إلى مؤشر شانغهاي، ربطه بين جودة التعليم وخريجي المؤسسة الذين حصلوا على تمييز مثل جائزة نوبل أو ميدالية فيلدز. فبمنحه حصرياً البعد الأكاديمي أهمية، يحجب التصنيف المساهمة الاقتصادية أو الاجتماعية للخريجين ولهيئة التدريس في الجامعات. ومن هذه الانتقادات، أيضاً، أنّ المؤشر يعتمد كلياً على الخيارات التي اتخذتها مؤسسة طومسون العلمية Thomson Scientific؛ إذ يظل تقسيم العلوم إلى واحد وعشرين مجالاً مقترحاً من قبل هذه المؤسسة (ينظر الجدول 2) موضع نقاش⁽²⁹⁾.

الجدول (2) تقسيم مؤسسة طومسون العلمية للعلوم

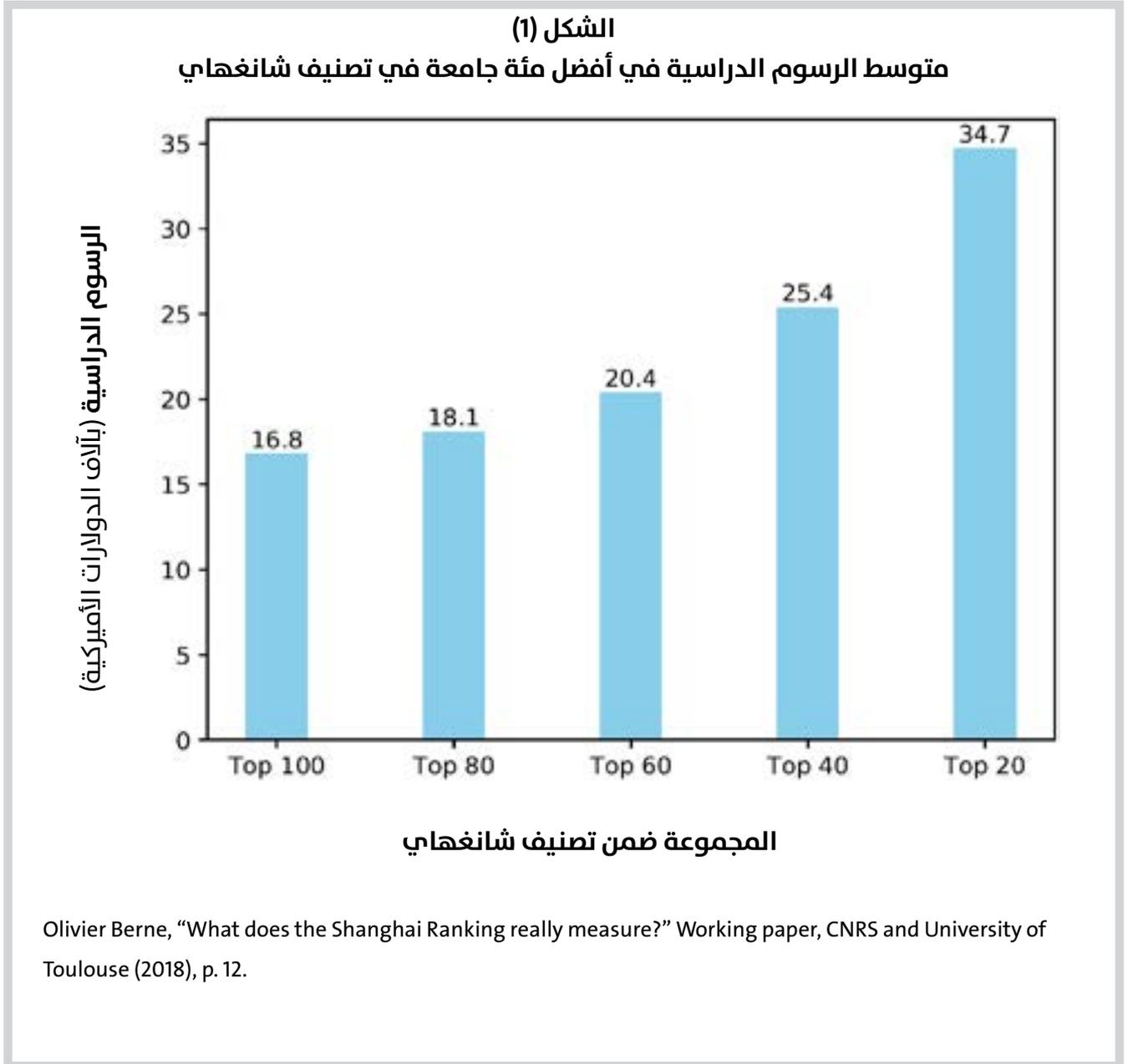
علوم الأعصاب والسلوك	البيئة/ الإيكولوجيا	العلوم الزراعية
علم الصيدلة وعلم السموم	علوم الأرض	علم الأحياء والكيمياء الحيوية
الفيزياء	الكيمياء	علوم المناحة
علم النبات والحيوان	علوم المواد	الطب السريري
الطب النفسي/ علم النفس	الرياضيات	علوم الكمبيوتر
العلوم الاجتماعية	علم الأحياء المجهرية	الاقتصاد وإدارة الأعمال
علوم الفضاء	البيولوجيا الجزيئية وعلم الوراثة	الهندسة
عبور التخصصات		

Web of Science Group, "Highly Cited Researchers: Highly Cited Researchers 2018," accessed on 202019/8/, at: <https://bit.ly/2Q0eu60>

في ضوء هذا التقسيم، يبدو أنّ اختيار الواحد والعشرين مجالاً اختزالياً وأنه يردّج بوضوح كفة مجالات الطب والبيولوجيا. وهذا بالتأكيد خيار معقول بالنسبة إلى شركة تجارية مثل مؤسسة طومسون العلمية، على اعتبار أنّ هذه الحقول تولّد الكثير من الأوراق حول الموضوعات الحساسة والإعلامية، وتوجد خلفها صناعات ومصالح اقتصادية كبرى. بيد أنّ مدى ملاءمة هذا الخيار لتقييم الجامعات وأدائها وأدوارها يستحق المناقشة.

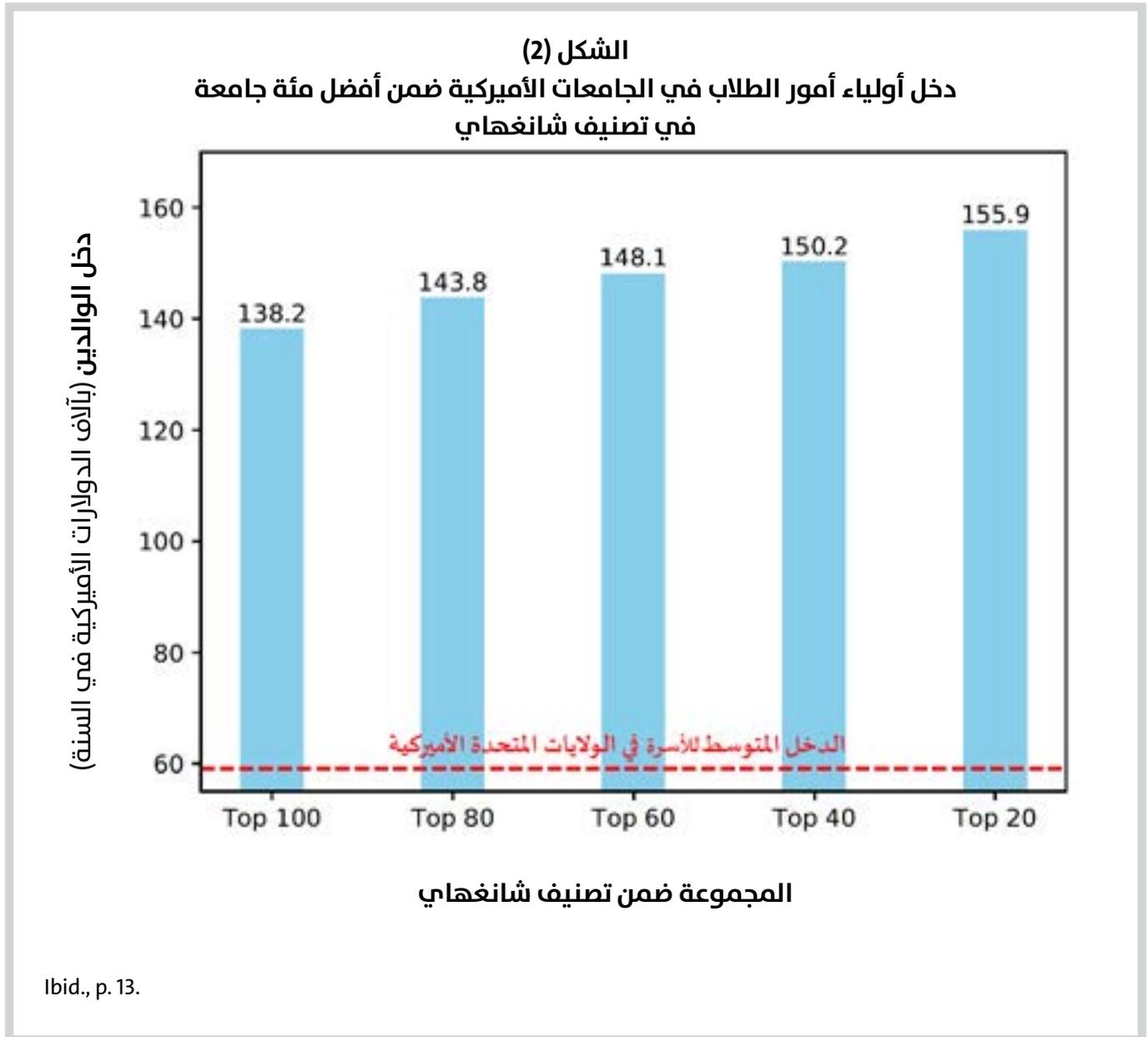
كما تبرز بالنسبة إلى مؤشر شانغهاي مسألة الأهمية القصوى التي يمنحها المؤشر لمجلتي *Nature* و *Science*، والتي تطرح إشكالات منهجية كبرى تضاف إليها إشكالية أخرى في هذا المعيار، بالنسبة إلى طريقة ترجيح المؤلف عندما تكون المقالات مشتركة بين أكثر من باحث (مع العلم أنّ هذه هي القاعدة العامة في العلوم الطبيعية والعلوم الفيزيائية والرياضيات)؛ إذ يجري احتساب نسبة 100 في المئة بالنسبة إلى مؤسسة انتماء المؤلف المراسل، ويجري احتساب نسبة 50 في المئة بالنسبة إلى المؤلف الأول إذا لم يكن هو المؤلف المراسل، ونسبة 25 في المئة لانتماء المؤلف الموالي، ونسبة 10 في المئة لانتماءات المؤلفين الآخرين. وهذا ما يجعل من الواضح جداً أنّ المقالات التي يوقعها العديد من المؤلفين لها وزن أكبر من المقالات التي يوقعها مؤلف واحد، وهو ما يطرح إشكالاً حقيقياً حين نعلم طريقة إجراء البحوث، سواء في العلوم الطبيعية أو غيرها، والتي هي دوماً جماعية.

ويظلّ أهم انتقاد يوجّه إلى مؤشر شانغهاي أنه يعزز "تأثير القديس متّى" The Matthew Effect الذي يجعل الغني أكثر غنىً، ويجعل الفقير أكثر فقراً⁽³⁰⁾؛ بمعنى أنه يعزز التفاوتات الاجتماعية داخل المجتمع، وبين الأجيال، وبين الدول الغنية والدول الأقل غنى، وبين دول الجنوب والشمال، من خلال ربطه مكانة المؤسسات الجامعية بثرائها وبما راكمته في الماضي. على هذا النحو، يمكن اعتبار المستوى العالمي World Class بمنزلة تعزيز للهيجيمونية، في المجال العلمي، كما في المجالات الاقتصادية والفكرية والسياسية⁽³¹⁾. ولذا، لا غرو أن نجد أنّ الجامعات الأعلى مرتبةً في تصنيف شانغهاي تعدّ أيضًا الأعلى من حيث الرسوم الدراسية (ينظر الشكل 1).



30 ندين بالتعريف بدينامية "تأثير القديس متّى" في مجال البحث العلمي، وفي جميع المجالات القائمة على التراكم، إلى عالم الاجتماع الأميركي روبرت ميرتون، الذي درس هذه الظاهرة في ستينيات القرن الماضي في مجال النشر العلمي؛ إذ يستفيد من ينشر كثيراً في بداية حياته العلمية وبراكم سمعة علمية محترمة ورأسمال رمزياً مهماً من "ريع" ذلك، و"براكم" الامتيازات العلمية طيلة مساره الأكاديمي؛ من نشر علمي، ومنح، وجوائز. وأسمى ميرتون هذه الدينامية "تأثير القديس متّى" في إشارة إلى الآية "لأن كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه" (متّى، الأصحاح 25: 29). ينظر في ذلك: Robert K. Merton, "The Matthew Effect," *Science*, vol. 159, no. 3810 (1968), pp. 56 - 63.

لقد أبرز العديد من تحليلات العلوم الاجتماعية أنّ هذه التصنيفات تعزّز إعادة إنتاج النخب على نطاق عالمي⁽³²⁾. ففي حالة الجامعات الأميركية، نجد أنّ أعلى الجامعات رتبةً في تصنيف شانغهاي هي أيضًا حيث يوجد معظم أبناء الأسر الغنية (ينظر الشكل 2).



نخلص إلى ما يلي: كي يكون ترتيب الجامعة جيدًا في تصنيف شانغهاي، ينبغي أن تكون إحدى الجامعات الأنكلوسكسونية، والغنية، والمكلفة التي ترحب بالطلاب الأثرياء. ويزداد هذا التفاوت حدّةً مع مرور الزمن بفعل "تأثير القديس مثنى"، من حيث الطبيعة التراكمية لهذه الأفضليات.

32 Cf. Sarah S. Amsler & Chris Bolsmann, "University ranking as social exclusion," *British Journal of Sociology of Education*, vol. 33, no. 2 (2012), pp. 283 - 301.

ثالثاً: الجامعات العربية في ضوء تصنيف شانغهاي للجامعات العالمية عام 2019

يتمثل الجديد الذي أتى به التصنيف الأكاديمي لجامعات العالم في عام 2019، كما أشرنا، بتوسيعه ليشمل أفضل ألف جامعة في العالم، بعد أن خصّ، منذ إنشائه في عام 2003، أفضل خمسمئة جامعة في العالم. وقد كان لهذا التوسيع عدة نتائج، منها زيادة عدد البلدان المصنّفة. فبعد أن كان 44 بلدًا في آخر تصنيف لعام 2018، أصبح 64 بلدًا مصنّفًا. والأمر ذاته بالنسبة إلى البلدان العربية ضمن هذا التصنيف الموسّع؛ إذ أصبحت ستة بلدان (السعودية، ومصر، ولبنان، والإمارات، وسلطنة عمان، وتونس) بعد أن كان يضمّ بلدين فقط في السابق (السعودية ومصر). ويستحقّ هذا المستجّد الوقوف عنده ومناقشته على مستويين متميزين: مستوى فئة أوّل خمسمئة جامعة مصنّفة في المؤشر، ومستوى فئة الخمسمئة جامعة المصنفة ما بين الرتبتين 501 و1000، والذي يهمنّا على نحوٍ خاص في هذه الدراسة، على أساس فرضية بحثية مركزية، هو أنّ وضع الجامعات العربية الذاتي والموضوعي وتبعيتها للمسار Path dependency يضعان أمامها تحيّزات طاردة عن المستوى الأول للتصنيف في الأمد القصير والمتوسط، وأنّ المستوى الثاني للتصنيف هو ما يمثّل بالنسبة إليها الهدف المعقول واللازم.

بالنسبة إلى المستوى الأول للتصنيف، أي مستوى الخمسمئة أفضل جامعة في العالم، تظلّ الملاحظة الأساسية أنّ الولايات المتحدة الأميركية تستأثر بالحصة الكبرى في هذا التصنيف؛ إذ يوجد ما لا يقلّ عن 206 جامعات أميركية ضمن الألف الأولى في العالم، أي ما نسبته 20.6 في المئة. وتزداد هذه النسبة في فئة الخمسمئة أفضل جامعة في العالم؛ إذ يوجد من بينها 137 جامعة أميركية، أي ما نسبته 27.5 في المئة. وتزداد هذه النسبة في فئة أفضل مئة جامعة في العالم لتصل إلى 45 في المئة، أي 45 جامعة أميركية. لتصبح فجّة في فئة أفضل 20 جامعة في العالم بنسبة 80 في المئة، أي ستّ عشرة جامعة أميركية (تتشترك معها في هذه الفئة الضيقة ثلاث جامعات بريطانية هي كامبريدج، وأكسفورد، ولندن كوليغ، وجامعة سويسرية واحدة هي المعهد الفيدرالي للتكنولوجيا بزوريخ)، كما يظهر في الجدول (3).

وتظلّ عمومًا الجامعات الأنكلوسكسونية هي المهيمنة على هذا التصنيف. وأسباب ذلك عديدة، أولها أنّ لغة البحث العلمي والنشر العلمي هي الإنكليزية، وهو أمرٌ يرجح كفة هذه الجامعات بدءًا من "بوابة الانطلاق" (بمفهوم رونالد دوركين)⁽³³⁾. وتُعَدّ الجامعات الأنكلوسكسونية أكثر ثراءً من نظيراتها في باقي العالم؛ فحتى إن كان ذلك لا يعكس بالضرورة جودة التعليم، ثمة ترابط وثيق بين نسبة ثراء الجامعة (بمعنى الميزانية بالنسبة إلى كل طالب) والمرتبة التي تحتلها الجامعة في تصنيف شانغهاي، كما يبرز ذلك الشكل (3).

33 Cf. Ronald Dworkin, "What is Equality?" *Philosophy and Public Affairs*, vol. 10, no. 4, (1981), pp. 185-246, 283 - 345.

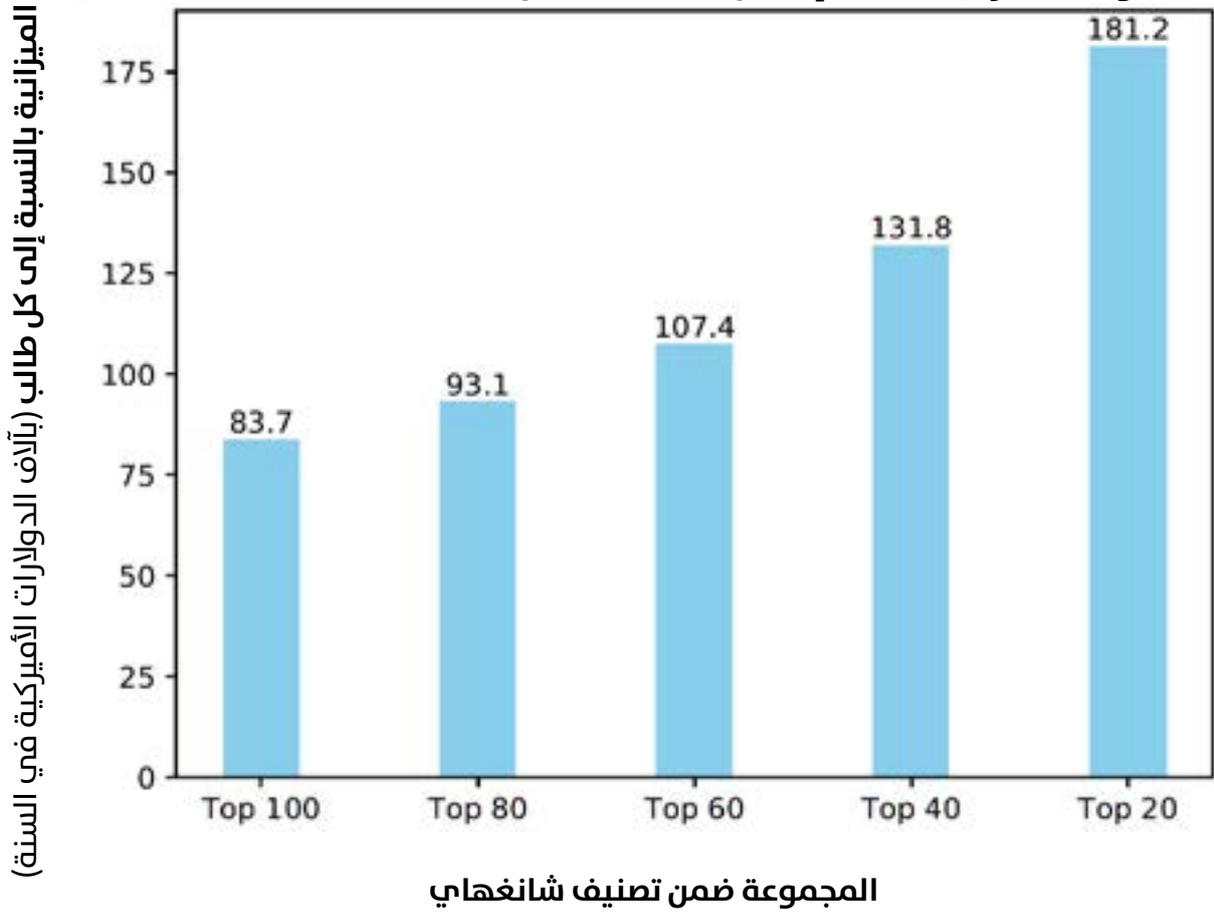
الجدول (3) أول عشرين جامعة في تصنيف شانغهاي 2019

الدولة	المؤسسة	الرتبة العالمية
	جامعة هارفارد	1
	جامعة ستانفورد	2
	جامعة كامبريدج	3
	معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا	4
	جامعة كاليفورنيا، بيركلي	5
	جامعة برينستون	6
	جامعة أكسفورد	7
	جامعة كولومبيا	8
	معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا	9
	جامعة شيكاغو	10
	جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس	11
	جامعة ييل	12
	جامعة كورنيل	13
	جامعة واشنطن	14
	جامعة كلية لندن	15
	جامعة جونز هوبكنز	16
	جامعة بنسلفانيا	17
	جامعة كاليفورنيا، سان دييغو	18
	المعهد الفيدرالي للتكنولوجيا بزوريخ	19
	جامعة كاليفورنيا، سان فرانسيسكو	20

The Academic Ranking of World Universities (ARWU), "Academic Ranking of World Universities 2019," accessed on 2020/9/8/, at: <https://bit.ly/2yYF2cH>

الشكل (3)

متوسط الميزانية بالنسبة إلى كل طالب في أفضل مئة جامعة في تصنيف شانغهاي



Berne, p. 11.

بيد أن التمايز الأكبر يظل في النسبة المرصودة للبحث والتطوير التي تظل أعلى بكثير من نظيراتها في العالم. النقطة الأخرى التي ينبغي لنا لزاماً بوصفنا عرباً أن نتوقف عندها في هذا المستوى، أي مستوى أول خمسمئة جامعة في تصنيف شانغهاي، هي الحضور الإسرائيلي القوي؛ إذ نجد ما لا يقل عن ست جامعات إسرائيلية تمثل كياناً صغيراً تقل ساكنته عن 2 في المئة من ساكنة العالم العربي (ينظر الجدول 4).

من بين الجامعات الإسرائيلية السبع ضمن تصنيف شانغهاي 2019، تأتي الجامعات الست الأولى من بينها ضمن الخمسمئة جامعة الأولى في العالم، وهو ما يعني أنها كانت توجد سابقاً ضمن التصنيف الذي كان ينحصر في أفضل خمسمئة جامعة في العالم، وانضفت إليها جامعة واحدة فقط هي جامعة حيفا.

الجدول (4) الجامعات الإسرائيلية ضمن تصنيف شانغهاي 2019

المؤسسة	الرتبة العالمية
التخنيون – المعهد الإسرائيلي للتكنولوجيا	85
الجامعة العبرية في القدس	150-101
معهد وايزمان للعلوم	150-101
جامعة تل أبيب	200-151
جامعة بار إيلان	500-401
جامعة بن غوريون في النقب	500-401
جامعة حيفا	700-601

:

"Academic Ranking of World Universities 2019."

وصولاً إلى المستوى الثاني للمؤشر، الذي يخصّ الجامعات التي تقع ما بين المرتبة 501 و1000، والذي يهّمنا هنا على نحوٍ خاص، نلاحظ بدايةً أنّ توسّع تصنيف شانغهاي لخمسة جامعة إضافية قد استفاد منه عدد من الجامعات وعدد من البلدان. ومن بينها البلدان العربية التي كانت ممثلةً في هذا التصنيف حتى عام 2018 ببلدين عربيين فقط، هما السعودية ومصر، بأربع جامعات للأولى وجامعة واحدة للثانية، بما مجموعه خمس جامعات (الجدول 5). وقد أصبحت البلدان العربية ضمن مؤشر شانغهاي لعام 2019 ستّ دول، هي السعودية (أربع جامعات)، ومصر (خمس جامعات)، ولبنان (جامعة واحدة)، والإمارات (جامعة واحدة)، وسلطنة عمان (جامعة واحدة)، وتونس (جامعة واحدة)، بما مجموعه ثلاث عشرة جامعة عربية (ينظر الجدول 6).

الجدول (5) الجامعات العربية في تصنيف شانغهاي 2018

الدولة	المؤسسة	الرتبة العالمية
	جامعة الملك عبد العزيز	150-101
	جامعة الملك سعود	150-101
	جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية	300-201
	جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	400-301
	جامعة القاهرة	500-401

:

The Academic Ranking of World Universities (ARWU), "Academic Ranking of World Universities 2018," accessed on 2020/8/, at: <https://bit.ly/2MqbFZo>

الجدول (6) الجامعات العربية في تصنيف شانغهاي 2019

الدولة	المؤسسة	الرتبة العالمية
	جامعة الملك عبد العزيز	150-101
	جامعة الملك سعود	200-151
	جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية	300-201
	جامعة القاهرة	400-301
	جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	500-401
	الجامعة الأميركية في بيروت	700-601
	جامعة عين شمس	800-701
	جامعة الإسكندرية	800-701
	جامعة خليفة	800-701
	جامعة المنصورة	900-801
	جامعة السلطان قابوس	900-801
	جامعة تونس المنار	900-801
	جامعة الزقازيق	1000-901

"Academic Ranking of World Universities 2019."

تقوم الفرضية البحثية الأساسية لهذا البحث على فكرة أنه يظل من الصعب جدًا، بل إنه يكاد يكون من المستحيل، في السياقات المعاصرة، إدراج جامعات عربية في النصف الأول من التصنيف (1-500)، وأنّ المعضلة العلمية العربية ينبغي مناقشتها ضمن النصف الثاني من التصنيف (501-1000). فقبل توسيع المؤشر ليشمل ألف جامعة عوضًا عن خمسمئة فقط، ظلّت الجامعات السعودية هي الممثلة للحضور العربي في هذا التصنيف، إلى جانب جامعة القاهرة. بيد أنّ حضور الجامعات السعودية هو في الواقع مجرد وهم بصري، يستحق أن نتوقف عنده قليلًا، ذلك أنّ هذه الجامعات ظلّت غائبة عن هذا التصنيف حتى عام 2008؛ إذ سجّلت أول جامعة (جامعة الملك سعود) دخولها إلى التصنيف في عام 2009، قبل أن تنضاف إليها جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في عام 2010، وجامعة الملك عبد العزيز في عام 2012، وأخيرًا جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية في عام 2013.

وفي سعيها الحثيث للدخول إلى التصنيفات العالمية للجامعات وتحسين ترتيبها فيها، سلكت الجامعات السعودية طرقًا غير أخلاقية لبلوغ هذه الغاية؛ وذلك عبر "شراء" هذه المرتبة، عوضًا عن "كسبها" عن جدارة واستحقاق. وكان أهم الدراسات التي أبرزت الاحتيال والتدليس اللذين تمارسهما الجامعات السعودية في

العلن، دراسة يودجيت بهاتاشارجي في عام 2011⁽³⁴⁾، التي أصبحت دراسة مرجعية في هذا الموضوع، من خلال تسليطها الضوء على هذه الممارسات غير الأخلاقية⁽³⁵⁾.

وعقب نشر هذه المقالة، ظهرت العديد من المقالات الأكاديمية والصحفية الأخرى التي بينت حالات كثيرة مماثلة⁽³⁶⁾، وكشفت بعض الوسائل التي تعتمد عليها الجامعات السعودية لاستقطاب باحثين من ذوي الاستشهادات العالية. لا غرو، إذًا، أن نجد عددًا كبيرًا من الحاصلين على جوائز نوبل أو من فئة الباحثين من ذوي الاستشهادات العالية يلحقون اسم الجامعات السعودية في منشوراتهم، وهو ما أظهرته جليًا دراسة لوتز بورنمان ويوهان باور عن عدد الباحثين الذين هم من أصحاب الاستشهادات العالية جدًا في المؤسسات الجامعية⁽³⁷⁾. فحين درس هذان الباحثان المؤسسات الرئيسة التي ينتمي إليها الباحثون ضمن هذه الفئة، كانت النتائج اعتيادية (ينظر الجدول 7). بيد أنهما حين أدرجا كل المؤسسات التي يدرجها الباحثون أثناء النشر، تبين أن جامعة الملك عبد العزيز تأتي في المرتبة الثانية عالميًا، بما قدره 160 باحثًا ضمن فئة الباحثين من ذوي الاستشهادات العالية جدًا، قبل جامعات كبرى مثل جامعة هارفارد وستانفورد وإم آي تي (ينظر الجدول 8).

الجدول (7) المؤسسات الرئيسة التي ينتمي إليها الباحثون ذوو الاستشهادات العالية			الجدول (8) كل المؤسسات التي ينتمي إليها الباحثون ذوو الاستشهادات العالية		
الترتيب	مؤسسة انتماء الباحث الرئيسة	العدد	الترتيب	جميع المؤسسات المسماة من لحن الباحث في انتمائه	العدد
1	جامعة كاليفورنيا، الولايات المتحدة	179	1	جامعة كاليفورنيا، الولايات المتحدة	198
2	جامعة هارفارد، الولايات المتحدة	107	2	جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية	160
3	المعهد الوطني للصحة، الولايات المتحدة	91	3	جامعة هارفارد، الولايات المتحدة	146
4	جامعة ستانفورد، الولايات المتحدة	56	4	المعهد الوطني للصحة، الولايات المتحدة	97
5	معهد ماكس بلانك، ألمانيا	52	5	جامعة ستانفورد، الولايات المتحدة	60
6	الأكاديمية الصينية للعلوم، الصين	46	6	معهد ماكس بلانك، ألمانيا	57
7	جامعة تكساس، الولايات المتحدة	43	7	الأكاديمية الصينية للعلوم، الصين	48

34 Yudhijit Bhattacharjee, "Saudi Universities Offer Cash in Exchange for Academic Prestige," *Science*, vol. 334, no. 6061 (December 9, 2011), pp. 1344 - 1345.

35 من بين الحالات التي يذكرها المقال، حالة خالد الرشيد، مدير "برنامج زمالة عالم" Distinguished Scientist Fellowship Program بجامعة الملك سعود، الذي كان ينشر منذ بدء عمله أستاذًا في الجامعة في عام 1992 ما متوسطه أربعة مقالات في السنة، أغلبها في مجلات شرق-أوسطية محلية، والذي بدأ ينشر، منذ عام 2008، نحو خمسين مقالًا في السنة في كبريات المجلات العالمية؛ وذلك مع مشاركة التوقيع على بعض المقالات مع حائز على جائزة نوبل أو باحث من كبار الباحثين العالميين، ممن جرى استقطابهم لهذا البرنامج.

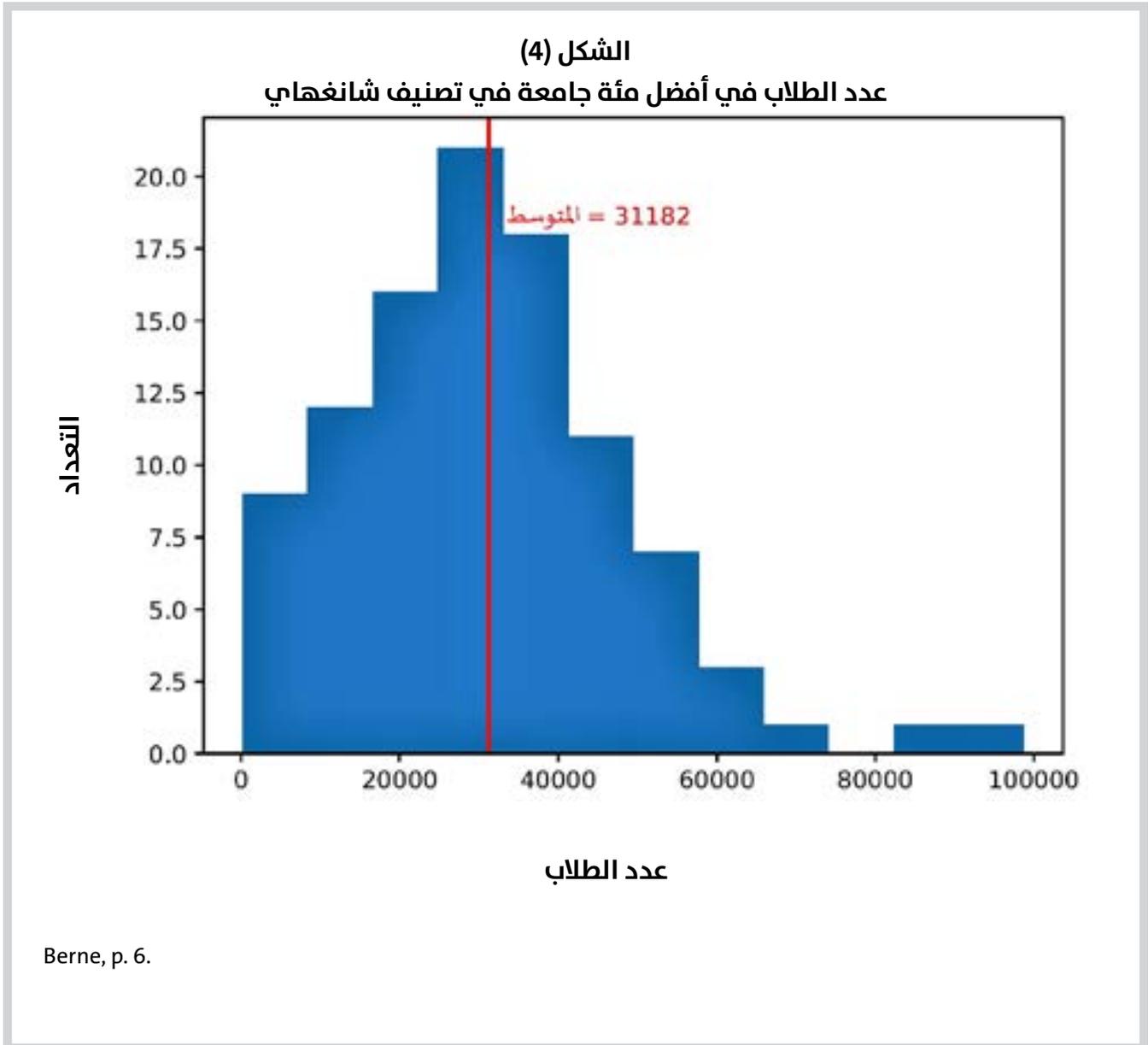
36 Cf. Megan Messerly, "Citations for sale: Saudi university boosts rankings by aggressively recruiting world's top researchers," *The Daily Californian* (December 5, 2014); Tariq A. Al Maeena, "Universities' unethical race to the top," *Gulf News* (January 15, 2012); خالد الشايح، "أكاديميون وهميون في السعودية"، *العربي الجديد*، 26/2/2015.

37 Lutz Bornmann & Johann Bauer, "Which of the world's institutions employ the most highly cited researchers? An analysis of the data from highlycited.com," *Journal of the Association for Information Science and Technology*, vol. 66, no. 10 (October 2015), p. 2147.

8	جامعة أكسفورد، المملكة المتحدة	33		8	معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، الولايات المتحدة	44
8	جامعة ديوك، الولايات المتحدة	32		9	جامعة تكساس، الولايات المتحدة	44
10	معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، الولايات المتحدة	32		9	جامعة أكسفورد، المملكة المتحدة	37
11	جامعة ميشيغان، الولايات المتحدة	31		11	جامعة لندن، المملكة المتحدة	35
11	جامعة لندن، المملكة المتحدة	30		12	معهد ويلكوم ترست سانجر، المملكة المتحدة	35
13	معهد ويلكوم ترست سانجر، المملكة المتحدة	30		12	معهد بروك، الولايات المتحدة	34
14	معهد بروك، الولايات المتحدة	28		14	جامعة ديوك، الولايات المتحدة	32
14	المختبر الأوروبي للبيولوجيا الجزيئية، المملكة المتحدة - ألمانيا	28		14	جامعة ميشيغان، الولايات المتحدة	32
16	جامعة نورث وسترن، الولايات المتحدة	28		14	المختبر الأوروبي للبيولوجيا الجزيئية، المملكة المتحدة - ألمانيا	31
16	جامعة برينستون، الولايات المتحدة	27		17	جامعة واشنطن، الولايات المتحدة	31
18	جامعة واشنطن، الولايات المتحدة	27		17	جامعة جونز هوبكنز، الولايات المتحدة	30
18	مستشفى بريغهام، الولايات المتحدة	26		19	جامعة نورث وسترن، الولايات المتحدة	30
20	جامعة جونز هوبكنز، الولايات المتحدة	26		19	جامعة برينستون، الولايات المتحدة	29

Lutz Bornmann & Johann Bauer, "Which of the world's institutions employ the most highly cited researchers? An analysis of the data from highlycited.com," *Journal of the Association for Information Science and Technology*, vol. 66, no. 10 (October 2015), p. 2147.

ذلك يعني، في الحصلة، أنّ وجود الجامعات السعودية ضمن تصنيف أفضل خمسمئة جامعة في العالم يظلّ اصطناعياً، ولا ينطوي على أيّ أساسٍ بحثي أو تعليمي جدّي. وبمعنى آخر، يظلّ أمر وجود الجامعات العربية ضمن هذه الفئة للامتنياز العلمي، أي فئة (1-500) منعدياً جدّاً؛ إذا استثنينا جامعة القاهرة، وهو أمر طبيعي بالنظر إلى الوضع التعليمي والعلمي في البلدان العربية ما بعد الكولونيالية. وليست بالتأكيد مسألة غياب أغلب الجامعات العربية عن هذا التصنيف المتعلق بأفضل خمسمئة جامعة في العالم مسألة حجم. فإنّ كان غالباً ما يتمّ تبرير دمج الجامعات في ما بينها، خلال السنوات الأخيرة، لتصبح قطباً جامعياً كبيراً، يُبرّر بهدف تحقيق بروز دولي أكبر يضمن تصنيفاً أفضل في تصنيف شانغهاي، ينبغي العلم أنّ متوسط حجم أكبر مئة جامعة في تصنيف شانغهاي يبلغ نحو 30 ألف طالب فحسب (ينظر الشكل 4).

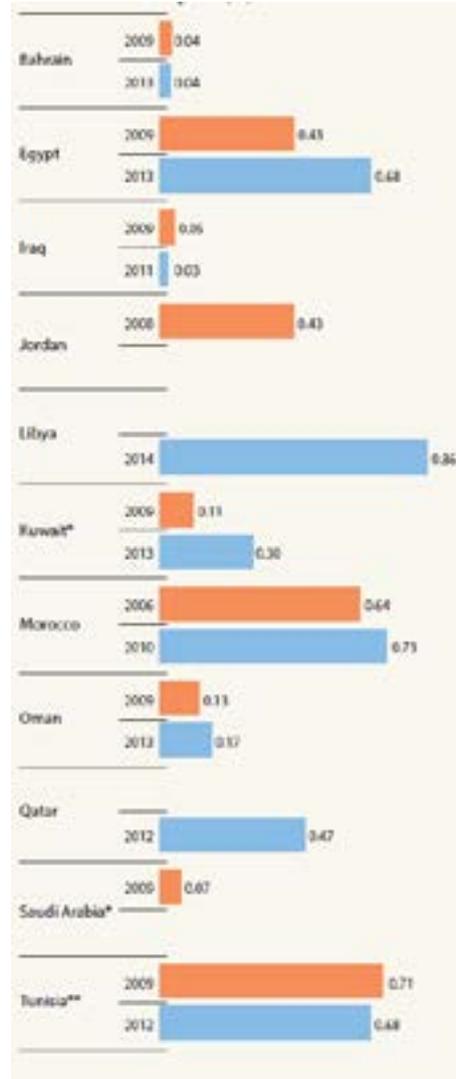


إنّ العوائق الكبرى أمام الجامعات العربية تظلّ بنيوية ومركّبة ومرتبطة، بالأساس، بمعضلة الإنفاق في البحث العلمي والتطوير، وهي معضلة قائمة ومستدامة وعصية على الحلّ في ظلّ غياب رؤية و/أو إرادة سياسية⁽¹⁾.

وينبغي في هذا الصدد العودة إلى مؤشرات اقتصاد المعرفة، ومن أهمها المؤشر المركزي المتمثل بـ «الإنفاق المحلي الإجمالي في البحث والتطوير بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي» GERD/GDP؛ لتبيّن أحد أهم الأسباب الكامنة وراء وهن نظام التعليم العالي ومنظومة البحث العلمي العربيين، وغيابهما عن هذه التصنيفات الدولية (ينظر الشكل 5).

1 يُنظر في ذلك أعمال الدورة الرابعة لمؤتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية الذي عقده المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في مراكش في الفترة 19 - 21 آذار/ مارس 2015، والتي صدرت في كتاب **الجامعات والبحث العلمي في العالم العربي**.

الشكل (5) «الإنفاق المحلي الإجمالي في البحث والتطوير بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي» في البلدان العربية

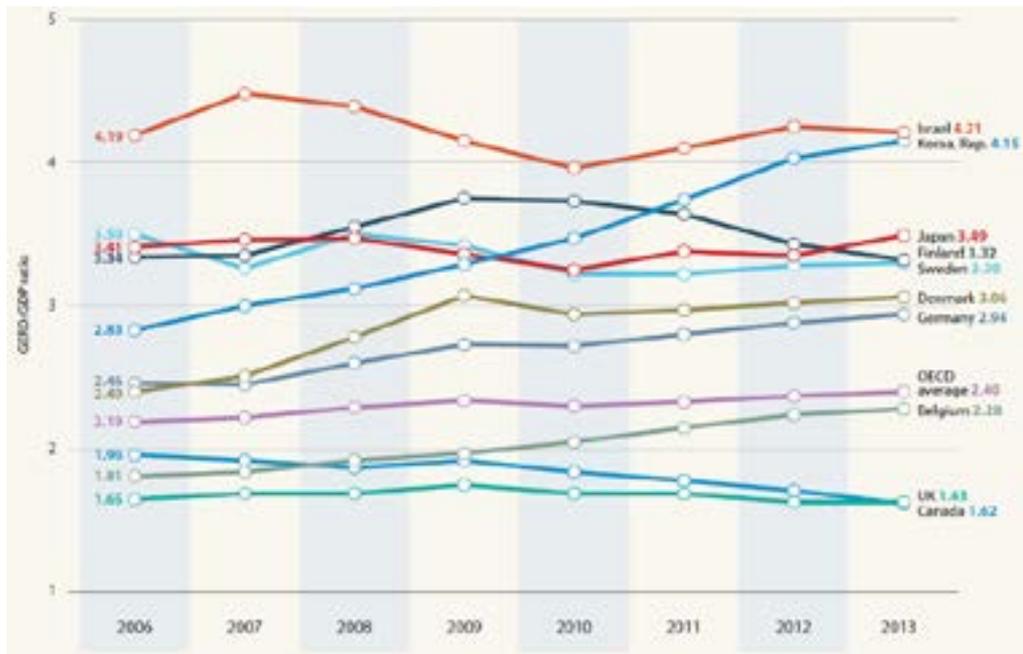


Unesco, *Unesco Science Report: Towards 2030* (Paris: 2015), p. 439.

من خلال هذا المؤشر، يتبيّن جلياً الوهن العلمي العربي؛ إذ إنّ نسبة 0.3 في المئة فقط من الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية (المنتقَص أصلاً بفعل النظام التراكمي الريعي) هي مخصّصة للبحث والتطوير⁽³⁸⁾؛ ما يجعل العالم العربي لا يساهم إلا بنسبة 1 في المئة من الإنفاق الإجمالي العالمي في البحث والتطوير، بمجموع لا يكاد يبلغ إلا 15 مليار دولار أميركي عام 2013⁽³⁹⁾، من دون أن نغفل التحليل الكيفي الذي يُظهر سوء تخصيص هذه الموارد الضئيلة التي تصرف أساساً بشكلٍ مباشر في رواتب الأساتذة الباحثين على غير مرتبط بإنتاجهم العلمي، أي من دون أدائها الدور التحفيزي المنوط بها.

لا غرو إذ أنّ تحتل الجامعات العربية مراتب متأخرة في التصنيفات الدولية، بالنظر إلى أنّ البلدان العربية تظلّ بعيدةً كلّ البعد عن أعلى المعدلات العالمية التي يتقدمها الكيان الصهيوني، بل إنها تظل بعيدة حتى عن متوسط الدول المتقدمة المنضوية تحت لواء منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD الـ 36، وهو ما يبرزه الشكل (6).

الشكل (6)
تطور نسبة «الإنفاق المحلي الإجمالي في البحث والتطوير بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي» في بعض البلدان المتقدمة (2006-2013)



Ibid., p. 410.

إضافةً إلى ذلك، يتجلّى أيضاً من خلال العديد من مؤشرات اقتصاد المعرفة الأخرى ضعف مدخلات العملية التعليمية والعلمية العربية Inputs؛ فعلى سبيل المثال، لم يتجاوز عدد الباحثين عام 2013 عتبة 149 ألف باحث

38 Unesco, *Unesco Science Report: Towards 2030* (Paris: 2015), p. 27.

39 Ibid., p. 26.

في مجموع الدول العربية⁽⁴⁰⁾، أي أقل من 2 في المئة من مجموع الباحثين في العالم⁽⁴¹⁾، بنسبة 417 باحثاً لكل مليون نسمة فقط، في حين يبلغ المعدل العالمي 1080 باحثاً لكل مليون نسمة، ومعدل الدول المتقدمة المنضوية إلى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية 3542 باحثاً لكل مليون نسمة⁽⁴²⁾.

ومن ثم، فإن الإنتاج العلمي والمعرفي Output المترتب على هذه القدرات والاستثمارات في الحقل المعرفي غير ذي بال. وهذا ما يبرزه، مثلاً، حجم المنشورات العلمية (البحوث المنشورة في المجلات العلمية المحكمة)؛ إذ نجد أن العالم العربي لم ينتج أكثر من 2.4 في المئة من الإنتاج العلمي العالمي في عام 2014⁽⁴³⁾. كما تُبرزه مؤشرات براءات الاختراع؛ فمن أصل 277832 براءة اختراع في العالم عام 2013 مسجلة لدى منظمة الويبو، لم يسجل العالم العربي برهته سوى 492 براءة اختراع، أي ما نسبته 0.17 في المئة فقط⁽⁴⁴⁾. وتضمحل هذه المساهمة أكثر بالنسبة إلى براءات الاختراع الأكثر توليداً للقيمة، وهي براءات الاختراع USPTO وبراءات الاختراع الثلاثية⁽⁴⁵⁾.

وإلى جانب هذا البيان لوضع منظومة التعليم العالي والبحث والتطوير في العالم العربي في مدخلاتها ومخرجاتها Outputs على المستوى الدولي، من المهم أيضاً أن نلقي نظرة إقليمية مقارنة لتبيين على نحو أجلي، وبشكلٍ مقارن، الوضع الجامعي والعلمي العربي، وهو ما يُفيدنا على نحوٍ خاص لتجلية ضعف هذه المنظومات بالتركيز على الفئة الثانية من تصنيف شانغهاي (501-1000). والمثالان الصارخان هنا هما إيران وتركيا.

فإيران قد حققت قفزةً مهمة في مؤشر شانغهاي لعام 2019 من خلال إدراج ما لا يقل عن ثلاث عشرة جامعة من جامعاتها في هذا المؤشر (ينظر الجدول 10)، بعد أن كانت لها جامعتان فقط في التصنيف الأخير لعام 2018 في المؤشر نفسه (ينظر الجدول 9).

الجدول (9)

الجامعات الإيرانية في تصنيف شانغهاي 2018

	جامعة طهران	400-301
	جامعة أميركايبير للتكنولوجيا	500-401

"Academic Ranking of World Universities 2018."

40 Ibid., p. 32.

41 في حين تبلغ الساكنة العربية نسبةً إلى الساكنة العالمية 5.5 في المئة.

42 Unesco Science Report: Towards 2030, p. 33.

43 Ibid., p. 36.

44 Ibid., p. 38.

45 براءات الاختراع USPTO هي البراءات التي تسجل لدى المكتب الأميركي لبراءات الاختراع والعلامات التجارية، وبراءات الاختراع الثلاثية هي التي تسجل في الوقت نفسه لدى الاتحاد الأوروبي واليابان، إضافة إلى المكتب الأميركي.

الجدول (10)
الجامعات الإيرانية في تصنيف شانغهاي 2019

	جامعة طهران	400-301
	جامعة الشریف للتكنولوجيا	500-401
	جامعة طهران للعلوم الطبية	500-401
	جامعة أميركايبير للتكنولوجيا	600-501
	جامعة تربيت مدرس	600-501
	جامعة الفردوسي في مشهد	700-601
	جامعة شهيد بهشتي للعلوم الطبية	800-701
	جامعة بابل نوشيرفاني للتكنولوجيا	900-801
	جامعة إيران للعلوم والتكنولوجيا	900-801
	جامعة أصفهان للتكنولوجيا	900-801
	جامعة شهيد بهشتي	1000-901
	جامعة شيراز	1000-901
	جامعة تبريز	1000-901

"Academic Ranking of World Universities 2019."

الأمر نفسه تقريباً يمكن قوله بالنسبة إلى تركيا التي كانت تمتلك جامعة واحدة فقط في التصنيفات السابقة للمؤشر التي كانت تشكل خمسمئة جامعة (ينظر الجدول 11)، والتي استطاعت إدراج ما لا يقل عن اثنتي عشرة جامعة من جامعاتها في تصنيف شانغهاي 2019 (ينظر الجدول 12).

الجدول (11) الجامعات التركية في تصنيف شانغهاي 2018

	جامعة إسطنبول	500-401
--	---------------	---------

"Academic Ranking of World Universities 2018."

الجدول (12) الجامعات التركية في تصنيف شانغهاي 2019

	جامعة إسطنبول	500-401
	جامعة أكنيز	800-701
	جامعة بيلكنت	800-701
	جامعة دوکوز أيلول	800-701
	جامعة إرجيس	800-701
	جامعة هاسيتيب	800-701
	جامعة الشرق الأوسط التقنية	800-701
	جامعة أنقرة	900-801
	جامعة غازي	900-801
	جامعة إسطنبول التقنية	900-801
	جامعة إيجة	1000-901
	جامعة الفرات	1000-901

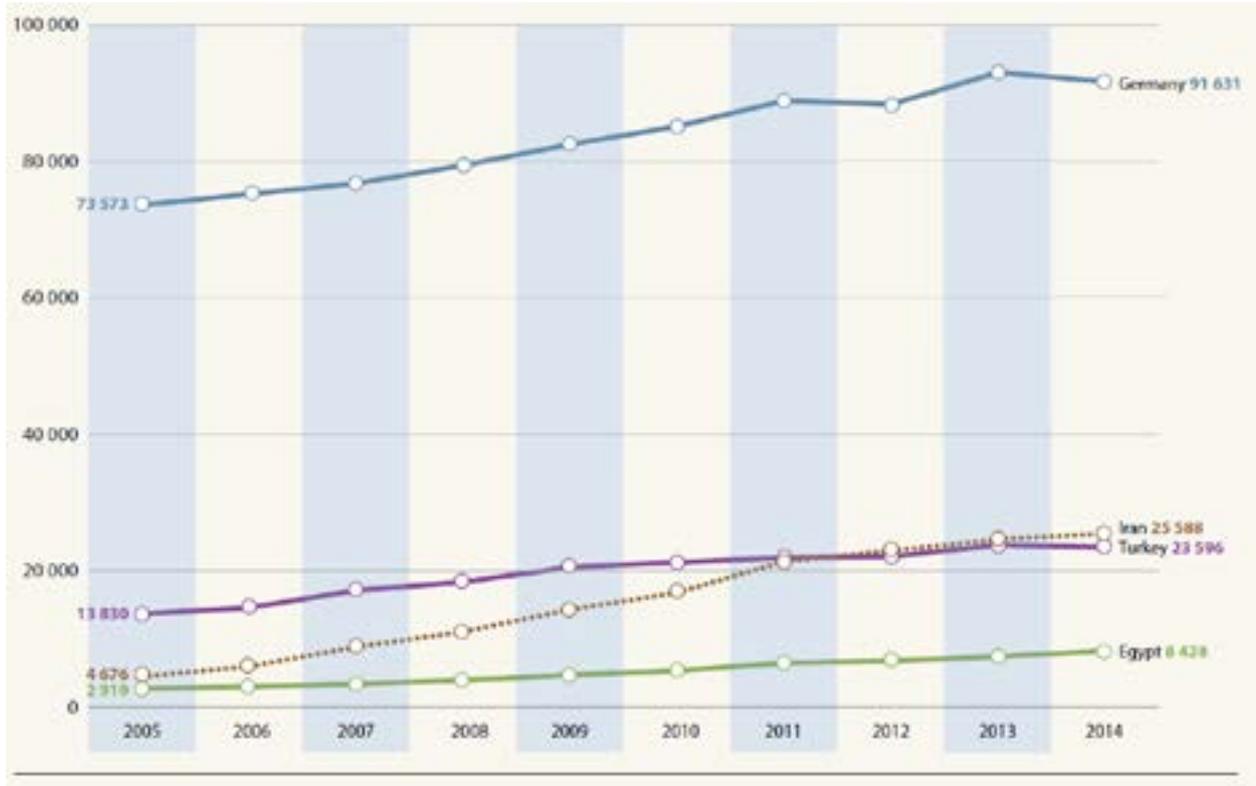
"Academic Ranking of World Universities 2019."

يظلّ، بالتأكيد، هذا "الاختراق" الذي حققته الجامعات الإيرانية والتركية ضمن فئة (501-1000) لمؤشر شانغهاي قائماً على أسسٍ صلبة ومثينة، وليس على شاكلة "الاختراق" الوهمي الذي حققته جامعات سعودية في فئة (1-500). ولئن سجّل كلٌّ من العالم العربي، وتركيا، وإيران الزيادة نفسها، وقدرها إحدى عشرة جامعة دخلت تصنيف شانغهاي بعد أن جرى توسيعه ليشمل ألف أفضل جامعة في العالم عوضاً عن أفضل خمسمئة جامعة، فإنّ هذه الزيادة تظلّ ضعيفةً جدّاً بالنسبة إلى عالم عربي يشمل اثنتين وعشرين دولة بساكنة قدرها 430 مليون نسمة، مقارنةً ببلدين من المنطقة نفسها تبلغ ساكنتهما كلاهما على حدة 83 مليون نسمة⁽⁴⁶⁾؛ ما يعني بشكلٍ نسبي أن إيران تملك جامعة في تصنيف شانغهاي بالنسبة إلى كل 6.38 ملايين نسمة، وأنّ تركيا تملك جامعة في تصنيف شانغهاي بالنسبة إلى كل 6.91 ملايين نسمة، في حين يملك العالم العربي جامعةً في تصنيف شانغهاي بالنسبة إلى كل 33 مليون نسمة. وبعملية حسابية بسيطة؛ إن أردنا أن نكون في مستوى الجامعات الإيرانية والتركية، باعتبار ديموغرافية البلدين، ينبغي أن يكون لدينا في تصنيف شانغهاي ما لا يقلّ عن 65 جامعة.

46 Worldometers, "Countries in the world by population (2019)," accessed on 27/8/2019, at: <https://bit.ly/2v65eA9>

وبالطبع ليس هذا الاختراق ناجماً عن فراغ، بل عن إرادات سياسية قوية، واستثمارات مهمة في مدخلات التعليم العالي والبحث والتطوير، وهو ما يترجم أيضاً على مستوى مخرجات المنظومة العلمية. فمثلاً، شهد النشر العلمي في إيران قفزة هائلة خلال العقدين الأخيرين، مقارنةً بدول ذات وزن ديموغرافي مماثل، مارةً من 4676 منشوراً علمياً في عام 2005، إلى 25588 منشوراً في عام 2014 (ينظر الشكل 7).

الشكل (7)
اتجاهات النشر العلمي (2014-2005)



Unesco Science Report, p. 390.

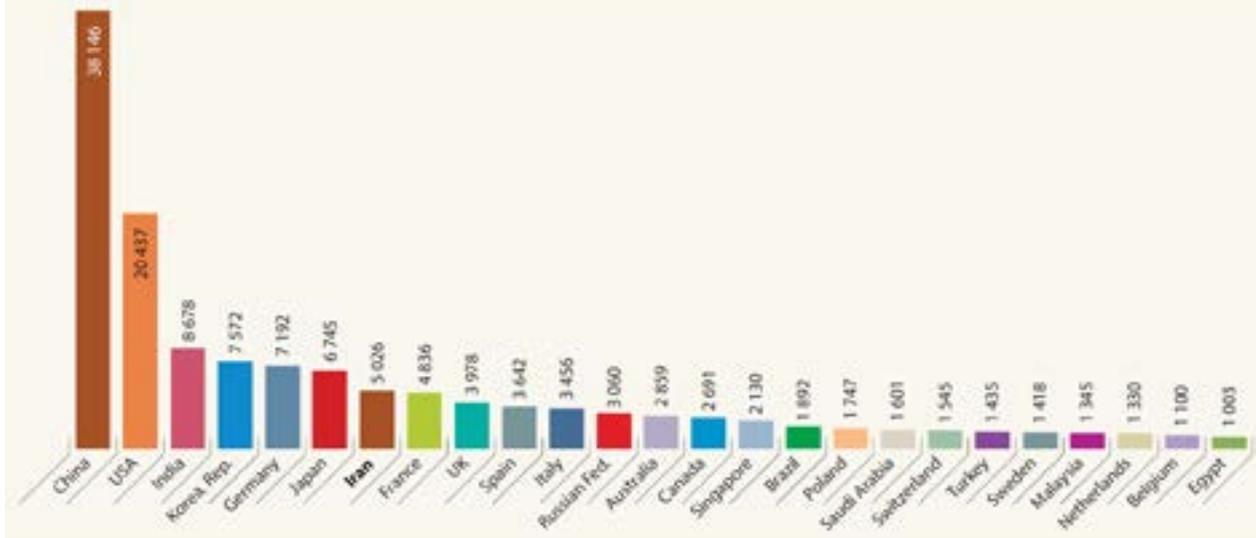
ثم إن تلك المنشورات تخص مجالات دقيقةً وحيويةً مثل تكنولوجيا النانو؛ إذ جرى مثلاً تصنيف إيران في المرتبة السابعة عالمياً بالنسبة إلى الأوراق المتعلقة بتكنولوجيا النانو في عام 2014 (ينظر الشكل 8).

إن ذلك يعني، في الحصلة، أن التصنيفات الدولية للجامعات، وإن كانت تشوبها بعض الشوائب وأوجه القصور، والتي ينبغي السعي مستقبلاً لدرئها⁽⁴⁷⁾، تسمح بقراءة جيدة للخريطة العلمية والمعرفية بالنسبة إلى مختلف البلدان، في مدخلاتها وفي مخرجاتها، وتتيح من ثم توجيه الفاعلين السياسيين إلى الاهتمام بهذه القطاعات، ورفع الموارد اللازمة للنهوض بها، وإرساء سياسات عمومية وحكامة رشيدة للجامعات والمؤسسات البحثية، من شأنها أن تعزز نجاعتها، وتؤديها الدور المنوط بها في الاقتصادات الجديدة القائمة على المعرفة والأصول اللامرئية.

47 Cf. Rigas Arvanitis & Sari Hanafi, "Ranking Arab Universities: A Farce," tadween publishing (April 20, 2015), accessed on 30/11/2019, at: <https://bit.ly/20DQNhD>

الشكل (8)

الخمس والعشرون دولة الأكثر نشرًا بالنسبة إلى حجم الأوراق المتعلقة بتكنولوجيا النانو (2014)



Ibid., p. 404.

خاتمة

يدلّ النجاح الملحوظ الذي حققته بعض الدول «الصغيرة» في تصنيف شانغهاي (الدنمارك وسويسرا وإسرائيل وسنغافورة) بوضوح على أنّ المسألة لا تتعلق بـ «الحجم» بقدر ما تتعلق بالقدرة على تركيز البحوث، وتمويل التعليم، وإنشاء النظم الإيكولوجية للبحث العلمي والابتكار. فإذا كنا نريد أن نفهم مفاتيح النجاح الجامعي والعلمي في القرن الحادي والعشرين، علينا أن ننظر إلى هذه النماذج أكثر من النظر إلى كبريات الجامعات العالمية وإمكاناتها اللامحدودة. كما أنّ النظر إلى بلدان المنطقة (خصوصاً تركيا وإيران) يلزمنا أن نضع نصب أعيننا هدف وضع خمسين جامعة إضافية على الأقل في النصف الثاني من تصنيف شانغهاي (501-1000)، قبل النظر إلى نصفه الأول، في سبيل رفع تحديات بناء اقتصادات عربية قائمة على المعرفة، واندماجها في عولمة المعرفة، وتحقيقها وضعيات إنتاجية وتنافسية في الاقتصاد اللامرئي الناشئ.

وليست "الفجوة المعرفية" و"تأثير القديس متّى"، اللذان أشرنا إليهما أعلاه، قدرًا حتميًا على الدول العربية، ولا سيّما أنّ الحراك العربي في موجاته الحالية والقادمة قد وُلدَ أمالاً مشروعة متعلقة بالملاءمة بين أسس البيئة الاقتصادية الحاضرة وطبقات البيئة المعرفية المسبقة وشروط بناء اقتصادات قائمة على المعرفة في ظلّ انتقالاتٍ ديمقراطية حقيقية. فقد أوضحت تجارب عديدة في العقدَيْن الأخيرَيْن، في مقدمتها تجارب مجموعة دول البريكس، من دون أن ننسى تجارب النور الآسيوية من قبل، وتجارب أميركا الجنوبية، أنّ فرصاً متعددة تسنح لمن يُحسن اغتنامها بحسب قدراته على التعلم والاستيعاب، وهي فرصٌ تتطلب بدورها استثمارات مكثفة وتراكمات كمية وتاريخية مهمة.

المراجع

العربية

مجموعة مؤلفين. **الجامعات والبحث العلمي في العالم العربي**. تحرير وتقديم مراد ديانبي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

الأجنبية

Aghion, Philippe, et al. "Why Reform Europe's Universities?" *Bruegel Policy Briefs*, no. 4 (January 2007).

_____. "The Governance and Performance of Universities: Evidence from Europe and the US." *Economic Policy*. vol. 25, no. 61 (January 2010), pp. 7 - 59.

Al Maeena. Tariq A. "Universities' unethical race to the top." *Gulf News* (January 15, 2012).

Amsler, Sarah S. & Chris Bolsmann. "University ranking as social exclusion." *British Journal of Sociology of Education*. vol. 33, no. 2 (2012).

Arvanitis, Rigas & Sari Hanafi. "Ranking Arab Universities: A Farce." Tadween publishing (April 20, 2015) at: <https://bit.ly/2ODQNhD>

Berne, Olivier. "What does the Shanghai Ranking really measure?" Working paper, CNRS and University of Toulouse (2018).

Bhattacharjee, Yudhijit. "Saudi Universities Offer Cash in Exchange for Academic Prestige." *Science*. vol. 334, no. 6061 (December 9, 2011).

Billaut, Jean-Charles, Denis Bouyssou & Philippe Vincke. "Should you believe in the Shanghai ranking?" *Scientometrics*. vol. 84, no. 1 (2010).

Bornmann, Lutz & Johann Bauer. "Which of the world's institutions employ the most highly cited researchers? An analysis of the data from highlycited.com." *Journal of the Association for Information Science and Technology*. vol. 66, no. 10 (October 2015).

Dworkin, Ronald. "What is Equality?" *Philosophy and Public Affairs*. vol. 10, no. 4 (1981).

Espeland, Nelson, Wendy & Michael Sauder. *Engines of anxiety: Academic Rankings, Reputation, and Accountability*. New York: Russell Sage Foundation, 2016.



Hazelkorn, Ellen. "The Impact of Global Rankings on Higher Education Research and the Production of Knowledge." UNESCO Forum on Higher Education, Research and Knowledge Occasional Paper no. 16 (2009).

_____. *Rankings and the Reshaping of Higher Education: The Battle for World-Class Excellence*, 2nd ed. London: Palgrave Macmillan, 2015.

Liu, Nian Cai & Ying Cheng. "The Academic Ranking of World Universities." *Higher Education in Europe*. vol. 30, no. 2 (2005).

Lixu, Li. "China's Higher Education Reform 1998-2003: A Summary." *Asia Pacific Education Review*. vol. 5, no. 1 (2004).

Marginson, Simon. "Global University Rankings: Implications in general and for Australia." *Journal of Higher Education Policy and Management*. vol. 29, no. 2 (2007).

Marginson, Simon & Marijk van der Wende. "Globalisation and Higher Education." OECD Education Working Papers. no. 8. OECD Publishing (2007).

Martínez Rizo, Felipe. "University Rankings: a Critical View." *Revista de la Educación Superior*. vol. XL (1), no. 157 (2011).

Merton, Robert K. "The Matthew Effect." *Science*. vol. 159, no. 3810 (1968).

_____. *Social Theory and Social Structure*. New York: The Free Press, 1968.

Messerly, Megan. "Citations for sale: Saudi university boosts rankings by aggressively recruiting world's top researchers." *The Daily Californian* (December 5, 2014).

Nelson Espeland, Wendy & Michael Sauder. "Rankings and Reactivity: How Public Measures Recreate Social Worlds." *American Journal of Sociology*. vol. 113, no. 1 (July 2007).

Raan (van), Anthony. "Fatal attraction: Ranking of Universities by Bibliometric Methods." *Scientometrics*. vol. 62, no. 1 (2005).

Rhoads, Robert A., Shuai Li & Lauren Ilano. "The Global Quest to Build World-Class Universities: Toward a Social Justice Agenda." *New Directions for Higher Education*. no. 168 (Winter 2014).

Unesco. *Unesco Science Report: Towards 2030*. Paris: 2015.

Web of Science Group/Clarivate Analytics. "Highly Cited Researchers: Purpose and Methodology." Web of Science Group/ Clarivate Analytics. at: <https://bit.ly/2P7y6VE>

Web of Science Group/Clarivate Analytics. "Highly Cited Researchers: Highly Cited Researchers 2018." at: <https://bit.ly/2Q0eu60>

Worldometers. "Countries in the world by population (2019)." at: <https://bit.ly/2v65eA9>

مواقع أهم التصنيفات الدولية للجامعات

The Academic Ranking of World Universities (ARWU). at: <https://bit.ly/2P9xJYw>

Times Higher Education - The World University Rankings. at: <https://bit.ly/2sZEUdd>

Quacquarelli Symonds - QS World University Rankings. at: <https://www.qs.com/>

Ranking Web of Universities (Webometrics). at: <https://bit.ly/2t7vqgd>